محمد محمد المدني

القرآن الكريم
و قضيةالبعث

(١) عنايةالقرآن:

١ – إن العقائد التي يفرض علينا الدين أن نؤمن بها ما هي إلا حقائق ثابتة في نفسها لها وجود واقعي، و هي تفترق في هذا عن المباديء و الأحكام التي هي من قبيل الإنشاء، و التي تشرع للناس بعد أن لم تكن، و تتغير بتغير الزمان و المكان، و تقبل النسخ في عهد الرسالة.

و إذا أردنا أن نعبر عن هذا المعني بالتعبير الفني المستعمل في علم أصول الفقه فإننا نقول: إن العقائد من باب الأخبار، و بالأخبار لا تقبل النسخ ، و معنى كونها من باب الأخبار أن الشارع لا ينشئها ولكن يخبر بها، و يحدث عنها، و يكشف للناس عن واقعها و حقيقتها، و إنما كانت غير قابله للنسخ لأن النسخ هو الإبطال و الإزالةو رفع الحكم الأصلي، و الحقائق لا تزول و لا تبطل و لا يمكن رفع حكمها.

و يأتي بعد ذلك دور التكليف بها، و إيجاب اعتناقها على جميع المكلفين.

و إذن فالعقائد يتصل بها حكمان: حكم طبيعي أو عقلي، و ذلك هو ثبوتها في نفسها و تقررها في واقع الأمر و عدم قابليتها للإلغاءو الإبطال، و حكم تكليفي فقهي هو كون الإيمان بها بعد انكشافها و تبين واقعها واجباً على كل مكلف.

٢ – و الحقائق الثابتة في نفسها كثيرةفي هذا العالم الذي نعيش فيه، و فيما وراءه، و ليس من شأن الدين و لا من غرضه الذي يرمي إليه أن يعرف الناس بكل

الحقائق. و يقررها لهم، و ولكنه إنما يهتم بنوع خاص من الحقائق هو الذي يترتب عليه تربيةخلقيةيصلح عليها الفرد و المجتمع.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فالأديان لايهمها أن أعتقد مثلا أن هناك كوكبا معينا اسمه (المريخ) أو أن هذا الكوكب فيه حياة، أو ليست فيه حياة، و لا ترتّب علي هذا الاعتقاد – إيجابيا كان أو سلبيا – تكليفا و لا حسابا.

و لايهمها أن أعتقد أن الأرض كرويةالشكل ، أو ليست كروية، و لا أن أعتقد أن لها دورتين، أو دورةواحدة ... إلى غير ذلك من القضايا العلمية، و الحقائق الكونية.

و ليس معنى ذلك أن الدين لايهتم بالعلم، و لا يلقي باله إلى ما في الكون من حقائق و سنن، ولكن الكلام إنما هو في اعتقاد شيء من ذلك اعتقادا دينيا أو عدم اعتقاده، فما دام لم يرد به نص قاطع و لم يصادم الاعتقاد به أصلا من أصول الدين، فالأمر فيه طلق، و لا ضير في الدين من إثباته أو إنكاره.

٣- و الحقائق التي عني الدين ببيانها، لما يترتب عليه من تربيةخلقية، و تهذيب و تقويم في العمل و السلوك ، ترجع إلى جوامع ثلاث، لكل منها ما يتصل به و يأتي مكملًا له، و هى: الألوهية، و الوحى، و البعث.

فالألوهيةحقيقة يتصل بها كثير من الحقائق، كصفات الإله الوجودية و السلبية، و هذه الدائرةأو هذه الجامعةمن شأنها أن توجه الإنسان إلىالصراط المستقيم، لأنه إذا علم أن للكون إلها واحدا، و أن كل ما و من سوى هذا الإله الواحد خاضع له مدين لحكمه؛ عرف قيمةنفسه بالنسبة للآخرين، و سار في حياته في ظل الشعور بالمساواة، لا بالضعف، و لا بالذلة، و لا بالهوان، ثم عرف قيمةنفسه بالنسبة إلى ربه و خالقه الذي يحب أن يكون إلهه و مقصده في جميع أعماله و توجيهاته.

فالألوهيةو صفاتها و ما يتصل بموضوعها حقائق ثابتة، و هذه الحقائق لها قيمتها التوجيهية في حياة الإنسان، و لذلك بينها الدين، و كشفها للناس، ثم أوجب عليهم الإيمان بها، و لا يقبل فيها مهادنةو لا مجاملةو لا تبديلا و لا تحويلا، و لم يكلهم في شأنها إلى أنفسهم ، كما وكلهم في الحقائق الدنيوية.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

و قل مثل ذلك في الوحي ، فهو حقيقة واقعة، و من شأن الإيمان بها أن يوجه الإنسان إلى التماس هداية الله و تقبلها، و عدم اتباع الهوى، و التفرق بالنزعات، و لذلك عني الدين بها فقررها و بينها، و طلب إلى الناس أن يؤمنوا بها. و قل مثل ذلك في البعث و الدار الآخرة و ما يتصل بها. فهي حقائق غيبية يترتب على معرفتها و الإيمان بها مصلحةعظمىللناس، إذ بها يعرف كل إنسان أنه محاسب على ما يعمل من خير أو شر، و أن الأمر ليس عبثا، و أن الناس لن يتركوا سدى و بهذا يتجه في حياته اتجاها مستقيما، و يعلم أنه إن خالف هذا الاتجاه المستقيم ، فهو معرض لخطر شديد، و لخسران مبين.

هذا هو السر في الاهتمام بتلك الحقائق الثلاث، أو بتلك العقائد الأساسية في جميع الأديان، و منه يتبين السر في عنايةالقرآن بقضية البعث و الدار الآخرة، و ما أعد الله فيها من ثواب و عقاب.

(ب) منهج القرآن الكريم في معالجة المنكرين لهذه الحقيقة:

إن إنكار البعث أو الشك في أمره يرجع في ذهن المنكر أو الشاك إلى ألوان ثلاثة من التفكير:

اللون الأول: هو استبعاد الأمر لما فيه من غرابة، و لأنه يخالف المألوف المعهود، فصاحب هذا اللون من التفكير يقول: هذا أمر لم أعهده و لم يعهده أحد من الناس قبلي، فما سمعنا أن ميتا قام من رمسه، و لا نستطيع أن نتصور جسما يتعفن و يصيبه الانحلال و الفساد ثم البلى و الذهاب في تراب الأرض، ثم يعود فتلتئم أجزاؤه، و يتماسك بعد الانحلال ، بل بعد الفناء، و ترجع إليه الحياة كما كانت إن هذا الأمر بعيد.

و قد جاءهذا الاستبعاد على لسان المنكرين في غير موضع من القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: (و قالوا أئذا كنا عظاما و رفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا؟) (أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد). (أئذا متنا و كنا ترابا؟ ذلك رجع

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بعيد) . (و قال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد؟ أفترى على الله كذبا أم به جنة) إلى غير ذلك من الآيات.

و طريقةالقرآن في الرد على هؤلاء و معالجةهذا الاستبعاد أن يقول لهم: إنكم قد غفلتم عن كثير من آيات الله التي تشاهدونها بأعينكم ، و قد صارت لديكم أمورا مألوفة، لكثرة حدوثها، و تكرر رؤيتها.

فهذه الأرض تكون ميتةهامدة فينزل الله عليها الماء فتصبح مخضرة ناضرة بالزرع و النبات:

(و ترى الأرض هامدة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت و ربت و أنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق، و أنه يحيي الموت ، و أنه على كل شيء قدير، و أن الساعة آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من في القبور).

(و نزلنا من السماء ماءمباركا فأنبتنا به جنات و حب الحصيد، و النخل باسقات لها طلع نضيد، رزقا للعباد و أحيينا به بلدةميتا ، كذلك الخروج):

و هولاء الناس ينامون و يضرب الله على آذانهم مدة من الزمان يكونون فيها كالموتى ثم يبعثون، و ذلك هو المعنى الذي صح أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نادى به من قومه حين أمر أن يصدع بدعوة الحق بعد أن كان مستخفيا بها، فقال: (و الله لتموتن كما تنامون، و لتبعثن كما يستيقظون و لتحاسبن بما تعملون).

هذا قريب مما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى: (الله يتوفى الانفس حين موتها و التي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت و يرسل الأخرى إلى أجل مسمى، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون).

و هناك آيات كثيرةفي الرد على الذين ينكرون البعث استبعادا، أساسها أن الله لا يعجزه شيء، و ليس شيء عليه بالبعيد، فهو القوى القادر الذي خلق الخلق و انشأه من العدم ، فكيف يصعب عليه أن يعيده؟

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

(و هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه و له المثل الأعلى في السموات و الأرض و هو العزيز الحكيم).

(كما بدأنا أول خلق نعيده).

(و قالوا أئذا كنا عظاما و رفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا، قل كونوا حجارةأو حديدا أن خلقا مما يكبر في صدوركم، فسيقولون من يعيدنا؟ قل الذي فطركم أول مرة).

(و هو الذي ذرأكم في الأرض و إليه تحشرون، و هو الذي يحيي و يميت، و له اختلاف الليل و النهار أفلا تعقلون، بل قالوا مثل ما قال الأولون ، قالوا أئذا متنا و كنا ترابا و عظاما أئنا لمبعوثون؟ لقد وعدنا نحن و آباؤنا هذا من قبل، إن هذا إلا أساطير الأولين، قل لمن الأرض و من فيها إن كنتم تعلمون؟ سيقولون لله، قل أفلا تذكرون).

(و ضرب لنا مثلا و نسي خلقه: قال من يحيي العظام و هى رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة).

(يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب).

إلى غير ذلك من الآيات التي تذكر قدرة الله، و تذكر بنشأة الخلق، و ترد عليهم استبعادهم للأمر).

* * *

اللون الثاني: من ألوان التفكير التي يرجع إليها إنكار هذه القضية إنه لا فائدة و لا ثمرقيمكن أن تقصد من البعث و من أن يحشر الناس إلى دار أخرى.

و هذا اللون من التفكير منبعث عن نظريةفلسفية عميقة الجذور في التاريخ خلاصتها: أن الكون قد وجد مشتملا على جميع العوامل التي تؤدي إلى تفاعله ذاتيا و تلقائيا، فليس هناك مؤثر فيه من خارجه بل كل ما فيه هو منه، و هو قائم على التوالد و التفاني الذاتيين، فالناس مثلا يحيون بلاتوالد الذي هو نتيجةالتزاوج بين الذكر و الأنثي ، ثم يمرون بأدوار الطفولة و الشباب و

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الكهولة و الشيخوخةحتى يصلوا إلى الإنهيار التام فالموت، و كل ذلك بفعل الزمن الذي مروا به، و الحياة التي لبسوا ثوبها، و احتملوا تصاريفها و أثقالها، و إذن فليس وجودهم إلا نتيجةحتمية للتفاعل الحيوي، و ليس موتهم أيضا إلا نهايةطبيعية لهذا التفاعل، فالعدم سابق للأحياء لاحق لهم بحكم التوالد الذاتي، و إذا كان الله هو الذي خلق العالم، فقد خلقه و أودعه جميع الخواص و العناصر التي صار بها مستقلا متفاعلا ذاتيا.

و ينبغى أن يفرق هنا بين الإيمان بالله كخالق، و بين الإيمان به كمصرف مدبر لكل صغيرةو كبيرة لهذا الخلق، فإن من الفلاسفة من يؤمن بالله خالقا و يزعم مع ذلك أنه خلق الأشياء و تركها لمصيرها و تفاعلها الذاتي، و أن أجل كل شيء هو مدى طاقته و صلاحيته للبقاء و التفاعل الحيوى، فإذا بطل هذا من شيء فقد حان حينه، و حق عليه الفناء بمقتضى السنن الكونية الطبيعية ليس إلا.(١)

و هذه النظريةهي التي يشير إليها القرآن في قوله تعالى: (و قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيا و مايهلكنا إلا الدهر).

و قد جاءهذا التعبير في آيةأخرى مع التصريح بإنكار البعث ، و ذلك قوله تعالى : (و قالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما نحن بمبعوثين).

و ربما سأل القاريء عن مراحل الانتقال الفكري في هذه النظرية، و كيف تنتهي إلى إنكار الحكمةمن البعث، و له الحق كل الحق في ذلك ، فإنها نظريةقائمة على الخداع و المغالطة ينتقل فيها الفكر هكذا.

(كل ما في الكون إنما هو منه على سبيل التفاعل مع حكم الزمن ، و ليس هناك مؤثر خارجي).

و يلزم من ذلك أنه ليس هناك حكمة يمكن أن تتصور للبعث و حشر الناس إلى دار أخرى، لأن تصور الحكمة فرع عن إرادة الفاعل القاصد، و هنا لا فاعل يمكن أن يكون قاصدا).

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

(١) و في هذا شيء من الشبه بالدهريين الذين يرون العالم قديما أزلا، باقيا أبدا، ولكن الدهريين منكرون للاله، لذلك قلنا إن هذه الفكرة لها أصل معرق في التاريخ و لم نقل إنها هى بعينها فكرةالدهريين، كما قد يفهم من ذكر الدهر في قول الآية: «و ما يهلكنا إلا الدهر».

و إذن فلاحكمة، و بالتالي فلا بعث).

و هذا اللون من التفكير الفلسفي يختلف تمام الاختلاف عن اللون الأول، فاللون الأول تفكير سلبي بدائي يستطيعه العقل العادي، لأنه لايكلف جهدا، و لا يستلزم عمقا، أما اللون الثاني فهو تفكير الذين يقابلون الدعوى بإنكار يصاحبه فرض عقلي مخالف، فهو لا يكتفي بمجرد الاستبعاد، ولكن يخرّج أمر الحياة تخريجا آخر حتى ينفي حكمةالبعث، فينتفي أن البعث حقيقةمقصودة، و واقع لا بد منه.

و قد كان من حكمةالقرآن أنه لم يترك هذا اللون من التفكير تركا تاما حتى كأنه لم يكن، و لم يكثر في الوقت نفسه من ترديده، و لم يفض في بيان وجهة أصحابه، كما أفاض في وجهة المستبعدين.

بيان ذلك أن الإشارة إلى هذا التفكير لم تجيء إلا في موضعين اثنين، هما الموضعان اللذان ذكرناهما، أحدهما في سورة(المؤمنين) ، و الآخر في سورة (الجاثية) أما قوله تعالى في سورة الأنعام: (و قالوا إن هى إلا حياتنا الدينا و ما نحن بمبعوثين) فليس من هذا القبيل، و إنما هو من قبيل اللون الأول، فلم تذكر فيه نظريةالحياةو الموت التلقائيين، و لا أن الإهلاك مرجعه إلى الدهر، كما ذكر في الموضعين الآخرين.

و إذن فالقرآن الكريم يذكر هذا اللون الفلسفي مقتصدا فيه، غير حريص على الإكثار من ترديده، بل نستطيع أن نقول إنه يكتفي فيه بالإشارة دون الإفصاح و الإيضاح، فما هو السر في ذلك؟

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

السر في ذلك أن القرآن يخاطب الفطرة في الإنسان، و لا يحب أن يثير على هذه الفطرة غبار الفلسفة، و لا أن يشغلها بتعقل المعاني المتكلفة، فهو يكتفي بالإشارة إلى أصل الفكرة، ثم يهاجمها و يهدمها، و هو حين يهاجم و يهدم لا يقتصد في ذلك و لا يكتفي فيه بأدنى الجهد، ولكن يطيل و يكرر و يحيط الفكرة الباطلة بالحجة من بين يديها و من خلفها، و تأتي حجته ملائمةللفطرة، سهلةعلى العقول،

لأنه يريدها خطابا للناس جميعا من كل مستوى عقلي، و لا يخص بها تفكيرا معينا دون سواه.

و لعل مما يؤيد ذلك أن القرآن حين يسوق هذه الفكرة في سورة (المؤمنون) يسندها إلى قوم من أقوام الرسل السابقين، يصفهم بأنهم الملأ الكافرون من قوم هذا الرسول، أي أصحاب الكثرةو السلطان، ثم يصفهم بأنهم هم المترفون في الحياة الدنيا، و يفهم من قولهم أنهم كانوا دعاةثائرين على الحق ، متجردين لدعوتهم، متكلفين للشبه و الأباطيل في سبيلها، ولكي يصاحبنا القاريء في فكرتنا نثبت الآيات التي جاءت في هذا الشأن ، و ذلك قوله تعالى في سورة (المؤمنون):

(ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين(٢)) ، فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، أفلا تتقون، و قال الملأ من قومه الذين كفروا و كذبوا بلقاء الآخرةو أترفناهم في الحياة الدنيا: ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه و يشرب مما تشربون، و لئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون، أيعدكم أنكم إذا متم و كنتم ترابا و عظاما أنكم مخرجون، هيهات هيهات لما توعدون، إن هي ألا حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما نحن بمبعوثين. إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا و ما نحن له بمؤمنين).

و أفكار المترفين من شأنها أن تسير في اتجاه الهوىو الغرض إذا وجهت إليهم دعوة يخشون أن تزيلهم عن مكانتهم، و تعكر عليهم صفو ترفهم و غناهم،

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

و القرآن حرب على هؤلاء المترفين، لأنهم في الحقيقةهم مصدر الجحود و الإفساد و الالتواء عن الصراط المستقيم (و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمر ناها تدميرا). (و كذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمةو إنا علىآثارهم مقتدون، قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا إنا لما أرسلتم به كافرون. فانتقمنا منهم

---

(٢) الضمير في قوله «من بعدهم » لقوم نوح، و القرن الآخرون قيل هم قوم عاد، و قيل هم قوم ثمود، و لكن من القولين مايستند إليه استنباطه، و لا يتعلق هنا غرض بتعيين القائلين.

فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) . (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين، و كانوا يصرّون على الحنث العظيم، و كانوا يقولون أئذا متنا و كنا ترابا و عظاما أئنا لمبعوثون، أو آباؤنا الأولون، قل إن الأولين و الآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم).

و قد جاءذكر هذه الفكرة الفلسفية في سورة الجاثية بين آيات من قبلها و آيات من بعدها، قد حشدت فيها الحجة بعد الحجة علىنحو قوي، و أسلوب فرد، و تتبع عجيب، و تلك هي الآيات كاملة:

(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهمه كالذين آآمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم و مماتهم؟ ساء ما يحكمون، و خلق الله السموات و الأرض بالحق و لتجزى كل نفس بما كسبت و هم لا يظلمون).

و نقف هنا وقفةيسيرةلنقول: إن الرد على هذه الفكرةذو شقين:

أحدهما أن الله خلق السموات و الأرض بالحق أي لا عبثا و لهوا كما تستلزم هذه الفكرة: فكرةأن كل ما في الكون و ما يحدث في الكون، فإنما هو من الكون و به، كما هو فيه – و أنه لا شأن للخالق بالخلق بعد أن خلقه و أودعه عناصره

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

و مادةتفاعله، و في آيةأخرى: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا و أنكم إلينا لاترجعون). و في آية ثالثة : (و ما خلقنا السماء و الأرض و ما بينهما لاعبين، لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) فالمعني: كيف يكون ذلك، و هل هذا إلا العبث و اللهو تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

و الشق الثاني من الرد إثبات الحكمةمن البعث ، و هي المجازاةعلى الأعمال.

و قد قدمت الآيةهذين الشقين، و ساقتهما بأسلوب العطف المبني بأنهما شقان و ناحيتان، حيث قالت: (و خلق الله السموات و الأرض بالحق، و لتجزى كل نفس بما كسبت و هم لا يظلمون).

و نعود بعد ذلك إلى الآيات: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه، و أضله الله على علم و ختم على سمعه و قلبه فمن يديه من بعد الله، أفلا تذكرون).

و الحديث في هذه الآية عمن أضله الله على علم، يشعرنا بأن أصحاب هذه الفكرة كانوا من الذين يستخدمون العلم في التلبيس و المجادلة.

(و قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا إلا الدهر، و ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون).

و قد عاجلهم الله بعد ذكر فكرتهم بالرد المنبيء عن خلوها من الدليل و البرهان العلمي: (و ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون).

و من هنا نأخذ أن الذين يتشدقون بالفروض العقلية، و يحاولون أن يثيروا بها على العقائد الدينيةجدالا و سفسطة، إنما يضربون في أودية من الظن و الخيال، و من العجيب أنهم يعترفون بأن أحكامهم في ذلك إنما تقوم على افتراضات ذهنية، و تعليلات متخيلة، و مع ذلك يأخذون بها، و يتركون ما جاءعن الله و رسوله، بحجة أن العلم شيء و الدين شيء آخر، فهل الفروض و التخيلات تنتج علما، و النقول الصحيحة عن العليم الخبير لا تنتج هذا العلم؟

الواقع أن هذا التواء في التفكير، و أن هذا الالتواءقديم، و لهذا الخلف فيه سلف هم على آثارهم مقتدون (و ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون).

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

و نعود إلى الآيات فنستكملها أما القاريء ليتابع الفكرةفيها:

(و إذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم ألا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين، قل الله يحييكم ثم يجمعكم إلىيوم القيامة لا ريب فيه، ولكن أكثر الناس لايعلمون، و لله ملك السموات و الارض) أى و المالك الحكيم القادر لايترك ملكه سدى، و لا يملكه عبثا (و يوم تقوم الساعةيومئذ يخسر المبطلون).

يتبين من هذا أن منهج القرآن في هذه الفكرة، يقوم على الاقتصاد في ذكرها و عدم التفصيل لها، كراهية منه لأساليب المتكلفين و المغربين، و حرصا على أن يكون خطابه موجها إلى الفطرة في صفائها، و ألايهيج على هذه الفطرة ما لا يلائمها، أو ما يشق عليها، ولكنه يهاجم هذه الفكرة هجوما عنيفا من ناحية بيان أن الله خلق الخلق بالحق- أي و ما لا غايةله لا يكون بالحق، و إنما يكون لهوا و عبثا

(سبحانه و تعالى عما يصفون) - و أن الحكمةإنما تتحقق حيث يكون الخلق ابتلاء و اختبارا، يعقبه بعث للحساب و الجزاء.

و اقرأ في ذلك مثل قوله تعالى:

(و لله ما في السموات و الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا و يجزي الذين أحسنوا بالحسنى).

و انظر معنى اللام في قوله (ليجزى) و ربّط هذه الغايةبكون العالم مملوكا له جل و علا، فإن هذا ينبيءعن فكرة الرد عليهمه كما أوضحناها.

ثم اقرأ قوله تعالى: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا و أنكم إلينا ترجعون) فقد بين جل شأنه أن الخلق الذي يوكل إلى نفسه دون رجوع إلى مالكه، إنما يصدر عن العبث، تعالى الله و تنزه.

اللون الثالث: من ألوان الإنكار لقضية البعث و الجزاء، هو إنكار المعاندين لجاجا و مكابرة بعد وضوح الحجة، فيقول المنكر : لا أصدق هذا ، و لا أقبله

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مهما قيل فيه، أو يقسم على نفيه، أو ما إلى ذلك من ألوان الإنكار عن لجاج و عناد.

و موقف القرآن الكريم من هؤلاءالمكابرين أنه يجابههم بالدعوةو يكررها عليهم مرة بعد مرة، و يقسم عليها في مقابلةقسمهم، و يصور لهم يوم القيامة و أهواله كما لو كانوا يشاهدونه تخويفا لهم و إرهابا.

و من ذلك قوله تعالى:

(زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا، قل بلى و ربي لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم).

(و أقسموا بالله جهّد أيمانهم لا يبعث الله من يموت، بلى وعداً عليه حقا، ولكن أكثر الناس لايعلمون).

(و لو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم، ربنا أبصرنا و سمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون). إلى غير ذلك من الآيات الكثيرةالتي تصور أهوال القيامة، و حيرةالكافرين، و اعترافهم بعد رؤية العذاب المبين).

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com